البيئة ومظاهر حمايتها ورعايتها في السنة النبوية

أ.م.د. ابراهيم طه حمودي

The Environment, it's protection and it's care in Sunna

Prof.Asst.phd. Ibrahim Taha Hamoodi

1. The proper limit for the concept of the environment is: the physical environment where human lives which consists of water, air, space, soil, organisms and constructions that satisfy his needs.
2. The environment is divided into two parts: the natural environment and the built environment (the synthetic) which often man-made, and the human Relationship with the Environment is specific and limited with rules guided by the Holly Quran and Sunna, for their protection and care, and punished all violators of the controlled and specific rules established by the scholars of Islam.
3. The Sunna fought the environmental pollution of all kinds, because it is a sensual corruption, to preserve this planet that Allah Almighty created for human residence.
4. The general purpose of the protection and care of environment in the Sunna, is to secure and safe life for humans, as well as the protection and care of other lives and creatures that Allah created to serve the humans

   The Islamic world both(International and Arabic) must enact laws and regulations for the protection and care of environment to preserve it of abusers, aggressors as enlightened by Prophet guidance and according to the legitimate Rule (There should be neither(harm nor malice)

L'environnement et les formes de protection et dàugmentation dans la Sunna

P. D. S. Ibrahim Taha Hamoudi

1-La signification appropriée à la notion de l'environnement est : L'environnement concret dans lequel l'homme vit avec l'eau, l'air l'espace et le sol et des organismes et des établissements organisés par ses besoins.

2-L'environnement est divisé en deux domaines: L'environnement naturel , l' environnement bâti (synthétique) qui est souvent fabriqué par l'homme, et que la relation entre l'homme et l'environnement est une relation souvent contrôlée par des ordres dont le Koran et la Sunna les guident à fin de le protéger et de le soigner et de punir tous les contrevenants aux règles et aux ordres établis déjà par les savants de l'Islam.

3-La Sunna prophétique a déjà combattu la pollution de l'environnement dans ses différents types notamment à cause de sa corruption sentimentale et pour préserver cette planète comme une belle demeure pour l'être humain crée par Allah – Le tout puissant - …

4-L'objectif général de la protection et les soins de l'environnement dans la noble Sunna est de sécuriser et d'assurer une vie paisible pour les êtres humains , ainsi que la protection et les soins des autres créatures et créations que Allah – Le tout puissant - les a mis pour son service…Il faut alors pour le monde musulman et l'arabe adopter à dessiner les lois et les règlements sur la protection et la préservation de l'environnement afin de les préserver de la futilité des agresseurs à la lumière des directives du Prophète –prière et salut sur Lui- et selon la base légitime (Rien pour dommages).

بسم الله الرحمن الرحيم

الملخص

جاءت البيئة وما لها من أهمية كبيرة وبارزة موضوعاً لهذا البحث الذي سلطنا الضوء فيه وفصلنا القول بين ثناياه عنها فمن المعلوم ان بيئتنا التي أنعم الله تعالى بها علينا ومنحنا إياها، توجب علينا ان نسعى دوماً لحمايتها ورعايتها والمحافظة عليها لتؤدي دورها الذي خلقها الله تعالى له، فالإنسان مستخلف فيها وليس مالكاً لها ولمواردها حتى يدعوه ذلك الى التصرف فيها على هواه اعتداءاً واسرافاً وعبثاً وظلماً دون ما يكون هناك من تشريع وتنظيم قائم على جملة من القواعد والضوابط التي تنظم سلوكيات الانسان معها وبالتالي تحسين وتوثيق العلاقة بينه وبين البيئة كي يضمن ذلك دوامها واستمرارها بما يضمن توفير الحاجات الاساسية التي تقوم عليها حياة الكائنات الحية وبضمنها الانسان على سطح الارض، وهذه المعاني وغيرها عبرت عنها السنة الطاهرة بين ثنايا نصوصها الشريفة لترشد البشرية لما فيه خيرهم وصلاحهم ودوام حياتهم وحياة من بعدهم من الاجيال القادمة بما يضمن تنمية ورقي وإزدهار مظاهر هذه الحياة بشتى جوانبها ودقائقها.

المقدمة

الحمدُ لله رب العالمين، والصلاة والسلام على المبعوث رحمة للعالمين، سيدنا محمد الصادق الامين وعلى آله واصحابه واتباعه اجمعين، وبعد، ان الدراسات الحديثة والمعاصرة التي تعتمد في منهجيتها مسألة التزاوج والترابط بين القضايا الكونية المعاصرة وبين النظرة الشرعية الاسلامية بكافة مضامينها ودقائقها الى تلك القضايا من خلال ايجاد الحلول ووسائل المعالجة الناجعة لتلك القضايا التي تواجهها الانسانية في الوقت الحاضر ومستقبلاً، ومن جهة اخرى تعتبر هذه الدراسات خير وسام ودليل لغير المسلمين من المشككين والطاعنين في الشريعة الاسلامية على مرونتها وسعتها وملاءمتها لحل جميع القضايا والمشاكل المعاصرة التي باتت تئن من ويلاتها المجتمعات الانسانية الحاضرة.

أقول: ان الله تعالى قد خلق الانسان وهيأ له اسباب الحياة في الدنيا ومهد له اسباب العيش فيها، وجعل له من كل شيء سبباً، وقدر له في الارض ما يقيمَّ حياته ويصونه، ولم يترك الاسلام واصوله الثابتة شاردة ولا واردة الا وكان له فيها تشريع وتقنين، أمر ونهي، تحذير وتوجيه، واذا ما تأملنا قضية البيئة لوجدنا انها حظيت بقدر كبير من الاهتمام، اذ وضع الاسلام الدستور والاطار العام لمسألة حماية ورعاية البيئة، لقوله تعالى: ﴿ وَلَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴾ [1]، وقال جل شأنه: ﴿ وَلَا تَعْثَوْا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ ﴾ [2]، وغيرها من الاقباس الوهاجة التي توجه الى العناية والحماية والرعاية للبيئة المحيطة بالإنسان، فقضية حماية البيئة ورعايتها وما تضمنتها من ابعاد متشعبة، ومشكلات متعددة، تجعل منها مشكلة خطيرة، ارتقت الى المستوى الذي فرضت نفسها في العقدين الاخيرين، كواحدة من اخطر القضايا في كافة المحافل العلمية والثقافية في العصر الحديث، لان قضية الحفاظ على مظاهر البيئة تعدُ من اهم الجزئيات التي ترتبط بحياة هذا الكوكب وديمومة الحياة على سطحه، وهذا الهدف هو من اهم أولويات وغايات جميع دول العالم التي تسعى الى حل مشاكلها وتذليل عقباتها، ووضع السبل الناجحة لإدامتها، وبالتالي إدامة قدرة هذا الكوكب على الوفاء بمعطيات عملية

---

(١) سورة الأعراف الآية (٨٥).

(٢) سورة البقرة الآية (٦٠).

التنمية، وضمان استمرارها بما يلبي حاجات الاجيال القادمة، ولأجل الاهمية الكبيرة التي تشكلها قضية حماية البيئة ورعايتها، ولعناية السنة النبوية الطاهرة بهذه المسألة، كونها صاحبة السبق في الاشارة اليها، والتنضير لجميع جوانبها بما يؤكد إحتوائها وملائمتها لجميع القضايا التي تخص وترتبط بحياة المجتمعات الانسانية ،ومتطلباتها الحياتية، بما يضمن تقدمها وإزدهارها ورقيها، لهذا جاء بحثنا موسوماً بـ((البيئة ومظاهر حمايتها ورعايتها في السنة النبوية))، وكان الدافع للبحث في هذا الاتجاه اهمية البحث كما ذكرنا، واظهار اهتمام السنة النبوية بهذه القضايا المعاصرة وابراز معالم الحلول التي وضعتها لها من منظورها، وكذلك اكمال الفائدة العلمية للجهود العلمية التي سبقتنا في بحث هذه القضية، واضافة صورة اخرى لصور البحث في هذه الناحية، وكذلك لفت أنظار المشككين والطاعنين الى مسألة كمال بحر السنة الطاهرة وسعة حوضها بما لا يدع شك ولا ريب للإيمان بها وبكمالها وتمامها،

لهذا جاء البحث مقسماً بعد هذه المقدمة على مبحثين ، احتوى كل مبحث منهما على عدة مطالب هي كالاتي: المبحث الأول:- مفهوم البيئة واقسامها وحمايتها ورعايتها والسنة النبوية، وأهمية المحافظة على البيئة من منظور الشريعة الاسلامية.

المطلب الاول:- تعريف البيئة واقسامها. المطلب الثاني:- اصناف البيئة وأقسامها.

المطلب الثالث:- تعريف الحماية والرعاية والسنة النبوية في اللغة والاصطلاح.

المطلب الرابع:- اهمية المحافظة على البيئة من منظور الشريعة الاسلامية.

المبحث الثاني:- مظاهر حماية ورعاية البيئة في السنة النبوية.

المطلب الاول:- مظهر حماية ورعاية البيئة المائية.

المطلب الثاني:- مظهر حماية ورعاية البيئة البرية.

المطلب الثالث:- مظهر حماية ورعاية البيئة النباتية.

المطلب الرابع:- مظهر حماية ورعاية البيئة الحيوانية.

المطلب الخامس:- مظهر حماية ورعاية البيئة الجوية.

ثم انتهينا بعد ذلك بالخاتمة التي تضمنت أهم النتائج التي تم التوصل اليها في هذا البحث.

وآخر دعوانا ان الحمدُ لله رب العالمين.

المبحث الأول

مفهوم البيئة واقسامها والحماية والرعاية والسنة، واهمية المحافظة على البيئة من منظور الشريعة الاسلامية

المطلب الاول:- تعريف البيئة.

- في اللغة:- هي من ((بوأ))، يقال: آباءه منزلاً اي هيأه له، وأنزله، ومكن له فيه، والاسم منها: البيئة والباءة والمباءة، وقيل: تطلق على منازل القوم حيث يتبوأون من وادٍ أو سند جبل، وكذلك يطلق على المباءة وهو معطن الابل حيث تنام في الموارد أو المراح الذي تبيت فيه[١]، اذا فهي كلمة تدلُ على معاني النزول والحلول في المكان، ثم اطلقت بعد ذلك مجازاً على المكان الذي يتخذه الانسان مستقراً لنزولهِ وحلوله وعيشه فيه[٢].

- واما في الاصطلاح:- تم تعريف البيئة بتعاريف عدة بحسب دلالتها على الحاجات المحيطة بالإنسان فمنها ما اشتمل كل ما يحيط بالإنسان حتى في مرحلة الاخصاب ونموه في رحم الام ومنها ما اختصر على العوامل الخارجية التي تحيط به والمادية ايضاً، ومنها على المكان المتواجد فيه الفرد ليس الا واليك الحدود لهذه الكلمة مع بياننا لما هو راجح منها.

١- البيئة:- ((هي جميع العوامل الخارجية التي تؤثر تأثيراً مباشراً، أو غير مباشر منذ لحظة الاخصاب في رحم المرأة، وتشمل العوامل المادية، والاجتماعية، والثقافية، والحضارية))[٣]. وبناءً على هذه التعريف فكلمة البيئة تضم عوامل كثيرة جداً، كالأسرة، والاصدقاء، والمدرسة، وكل المعاقل التي يتلقى فيها الانسان مختلف انواع العلوم والقيم والفضائل والاخلاقيات المكتسبة، التي لها الدور الفاعل في تعيين

---

(١) ينظر لسان العرب، لابن منظور (ت ٧١١هـ)، ط١، دار صادر- بيروت، د.ت (٣٨/١-٣٩) مادة (بوأ).

(٢) المصدر نفسه.

(٣) ينظر علم النفس التربوي في الاسلام، شادية التل، ط١، دار النفائس- عمان، لسنة(٢٠٠٥م)،(ص٩٦).

انماط سلوك الفرد واساليبه في مجابهة مواقف الحياة وبالتالي الخروج منها والتغلب عليها.

٢- وقيل في تعريفها بانها:((الوسط الذي يعيش فيه الانسان، بما يضم من مظاهر طبيعية، خلقها الله تعالى يتأثر بها ويؤثر فيها))[١]، وبناءً على هذا التعريف نرى ان البيئة عند اصحاب هذه النظرة لمفهومها يقتصرون على البيئة الطبيعية التي لا دخل للإنسان في ايجادها وبهذا يخرج من هذا العناصر المادية التي اوجدها الانسان كجزء من محيطه الذي يعيش فيه.

٣- التعريف الذي وضعه مؤتمر البيئة البشرية في أستوكهولم لسنة (١٩٧٢م)، بأنها:((مجموعة من النظم الطبيعية والاجتماعية والثقافية التي يعيش فيها الانسان والكائنات الاخرى والتي يستمدون منها زادهم، ويؤدون فيها نشاطهم))[٢]، وعلى هذا التعريف فان البيئة تعني جميع الموارد والمنتجات الطبيعية والاصطناعية التي تضمن تأمين واشباع حاجات الانسان.

٤- اما التعريف الاجرائي للبيئة ، فإنها تعني:((المحيط المادي الذي يعيش فيه الانسان بما يشتمل من ماء وهواء وفضاء وكائنات حية، ومنشآت اقامها لإشباع حاجاته))[٣]. وبناءً على هذا المفهوم للبيئة فإنها تشمل كل الامور المادية التي تشغل حيزاً يحيط بالإنسان طبيعياً كان او اصطناعياً اوجده الانسان لتلبية حاجاته، ومن هذه التعريفات لكلمة ((البيئة)) يمكن ان نقول ان التعريف الاجرائي هو اقرب المفاهيم المقدمة للبيئة وارجحها للقبول في هذا الموضع، ولا ضير ان نقول في هذا الموضع وبعد النظر في هذه التعريفات ان نقدم مفهوماً يعبر عن وجهة نظرنا لمفهوم البيئة،

---

(١) ينظر الاسلام والبيئة، محمد مرسي محمد، أكاديمية نايف العربية للعلوم الامنية – الرياض، لسنة (١٤٢٠هـ- ١٩٩٩م)، (ص١٨).

(٢) ينظر المصدر نفسه (ص١٩).

(٣) ينظر المصدر نفسه (ص١٩).

فنقول:((هي كل ما هو خارج جسم الانسان يؤثر فيه، ويتأثر بالأنشطة التي يمارسها الانسان نفسه، من اجل تلبية حاجاته وديمومةِ حياته)).

المطلب الثاني:- أصناف البيئة وأقسامها.

من خلال الاستقراء والنظر في بطون المصنفات التي اعتنت بالبيئة او بالنظام البيئي، وجدنا ان البيئة المحيطة بالإنسان تتصنف الى اقسام بحسب العناصر المتكونة منها تلك البيئات، فهناك بيئة محيطة بالإنسان لا دخل له في إيجادها، ونوع أخر له علاقة بوجودها وتشييدها كإحدى متطلبات حياته على سطح هذا الكوكب، لهذا يمكن ان نقسم البيئة الى:

١- البيئة الطبيعية:- ويراد بها المظاهر التي لا دخل للإنسان في وجودها من مظاهرها الصحراء والبحار والمناخ والتضاريس والحياة النباتية والحيوانية.

٢- البيئة المشيدة أو الاصطناعية:- وهي البيئة المادية والنظم الاجتماعية التي أقامها الانسان مثل المناطق السكنية والصناعية والتجارية والمدارس والطرق، وجميع المظاهر الحضارية من حوله.

وهناك تقسيم وتصنيف اخر للبيئة بناءً على توصيات مؤتمر استوكهولم لسنة (١٩٧٢م)، اذ قسمها على ثلاثة اقسام ، أو عناصر، وهي :-

١- البيئة الطبيعية:- وتتكون من اربعة نظم مترابطة وهي الغلاف الجوي والغلاف المائي، واليابسة، والمحيط الجوي، وهذه العناصر جميعاً تمثل الموارد التي اتاحها المولى عز وجل وخلقها ثم سخرها للإنسان كي يحصل منها على مقومات حياته من غذاء وكساء ودواء ومأوى.

٢- البيئة البيولوجية:- وتشمل الانسان الفرد واسرته ومجتمعه والكائنات الحية، وتعد هذه البيئة جزءاً من البيئة الطبيعية.

٣- البيئة الاجتماعية:- وهي العلاقات التي تحدد ماهية علاقة حياة الانسان مع غيره، وانماط هذه العلاقات مما يؤلف ما يعرف اليوم بالنظم الاجتماعية[١].

ومن خلال اقسام واصناف البيئة التي تحيط بالإنسان وجدنا انها تتكون من الهواء والماء واليابسة التي خلقها الله تعالى من غير دخل للإنسان فيها وكذلك من ضمن البيئة الأسرة والمجتمع، والكائنات الحية النباتية والحيوانية والمظاهر الاخرى التي تحيط بالإنسان من عمران ومدارس، ومؤسسات مختلفة، التي كان للإنسان الاثر الفاعل في ايجادها كإحدى ركائز حياته اليومية، لهذا يمكن ان نقول ان البيئة لها جانب مادي وهو كل ما استطاع الانسان ان يصنعه مثل المسكن والملبس والغذاء ووسائل النقل والابنية والأدوات، وكل ماله دور في تمشية حياته وكذلك ما لم يكن للإنسان دور في وجوده وصناعته كاليابسة والمياه والغلاف الجوي، والكائنات الحية النباتية والحيوانية على اختلاف انواعها، وهناك الجانب غير المادي للبيئة، وتشمل عقائد الانسان وعادته وتقاليده وافكاره وكذلك القيم والآداب والاخلاقيات والعلوم، سواء كانت تلقائية او مكتسبة، ولما كان موضوع البحث هو الجانب المادي للبيئة التي تحيط الإنسان ، لهذا نستطيع ان نوجه اصناف واقسام جديدة للبيئة اعتماداً على ما عرضناه، وهذه الأقسام هي ما ستدور حولها قضية الحماية والرعاية من خلال ما تطرقت اليه نصوص السنة النبوية الطاهرة، واليك هذه الاقسام:

١- البيئة المائية: ((الانهار، والبحار، والمحيطات، والواحات ومختلف انواع المسطحات المائية)).

٢- البيئة البرية:((اليابسة، من سهول وهضاب وجبال وغيرها)).

٣- البيئة النباتية:((وتشمل كل مظاهر الحياة النباتية))

٤- البيئة الحيوانية:((وتشمل كل الكائنات الحية الحيوانية دون تفصيل وبشكل عام)).

٥- البيئة الجوية:((ويراد الهواء او الغلاف الجوي المحيط بالإنسان وغيره)).

---

(١) ينظر البيئة في الاسلام، للدكتور- الشحات ابراهيم محمد، دار النهضة العربية- القاهرة، د.ت، (ص٩)، وكذلك الاسلام والبيئة (ص١٨-١٩).

وهذه الانواع والاقسام البيئية التي حددناها هي ما تعرضت له السنة النبوية لها ووجهت لمسألة حمايتها ورعايتها بين ثنايا نصوصها الطاهرة، وهذا ما سنعرضه في المبحث الثاني من هذا البحث ان شاء الله تعالى.

المطلب الثالث:- تعريف الحماية والرعاية والسنة النبوية.

١- الحماية في اللغة:- وهي من حمى، يحميه، حمياً، وحماية، ومعناه: المنع والدفع، يقال: الحامية اي الرجل يحمي اصحابه في الحرب، اي دافع عنهم، وقولهم: حاميت عن ضيفي اي احتفلت له، وقولهم: تحاماه الناس: اي توقوه واجتنبوه، واحتمى من الحرب، اي حفظ نفسه وحماها[١].

- الحماية في الاصطلاح:- عند النظر الى مفهوم الحماية في اللغة نجدها تدل على معنى ((الحفظ والمنع والدفع، والوقاية، والاجتناب))، ولما كانت هذه اللفظة ملازمة لكلمة البيئة في هذا البحث ، لذا يمكن ان نصيغ لها تعريفاً يعبر عن معنى الكلمتين اي ((حماية البيئة))، بقولنا:((هي المحافظة على البيئة والدفاع عنها ضد كل ما يفسدها أو يضر بها ويلوثها)).

٢- الرعاية في اللغة:- وهي من الرعي مصدر رعى، وقولنا: يرعى رعياً والراعي يرعى الماشية أو يحوطها ويحفظها، ويقال: الراعي، الوالي، والرعية، العامة من الناس يقال: رعى الامير رعيته رعاية اي حفظهُ لها، وقولهم: أسترعاه اي استحفظهُ، ورعاها: اي راقبها وانتظر مغيبها، وقولهم راعى امره، اي حفظه وترقبه، والمراعاة، المناظرة والمراقبة، والرعاية هي الحفاظ وغيرها من المعاني الاخرى[٢].

- الرعاية في الاصطلاح:- ولما كانت الرعاية تدل على معنى ((الحيطة والحفظ، والمراقبة))، لذا يمكن ان نعطي مفهوماً لمعناها في الاصطلاح مقترنة بكلمة البيئة وبيان وتحديد المراد منها بقولنا:((الحفاظ على البيئة وتولي أمرها وتدبيره من خلال

---

(١) ينظر لسان العرب، (١٤/١٩٧-٢٠٢)، مادة (حمى).

(٢) ينظر المصدر نفسه ، (١٤/٣٢٥-٣٢٨)، مادة (رعى).

احاطتها بالحفظ والعناية والمراقبة بما يضمن ديمومتها واستمرارها وازدهارها. وتنميتها)).

٣- السنة في اللغة:- السنة في اللغة لها معان عدة ، منها: السيرة، او الطريقة المتبعة، سواء كانت تلك السيرة حسنة ، أو سيئة[١].

- واما السنة في الاصطلاح:- فقد اتفقت كلمة المحدثين عند بيان حدها بأنها :((كل ما أثر عن النبي صلى الله عليه وسلم من قول، او فعل، او تقرير، او صفة خلقية، أو خُلُقية، أو سيرة سواء أكان ذلك قبل البعثة، كتحنثه في غار حراء، أم بعدها))[٢].

المطلب الرابع:- اهمية المحافظة على البيئة من منظور الشريعة الاسلامية.

تعتبر الشريعة الاسلامية المتمثلة بالقران الكريم والسنة الطاهرة اهم الشرائع السماوية التي لفتت الانظار الى الاهمية الكبيرة التي اولتها للبيئة والتنظير الدقيق لحمايتها ورعايتها والحفاظ عليها ووضع السبل والحلول الكفيلة لإدامتها، فقد وجه القران الكريم الى مسألة الحفاظ على البيئة وحمايتها ووضع المبادئ العامة لذلك، ومما لاشك فيه ان البيئة التي انعم الله بها علينا ومنحنا اياها، يتعين علينا ان نسعى لحمايتها ورعايتها والمحافظة عليها، كي تؤدي دورها الذي اراده الله تعالى لها كونها احدى المسخرات لخدمة خليفته في الارض، ولأجل تمام علمية التسخير التي خصها المولى بها فقد حذر وأنذر كل من يسيء إليها ،او يفسد فيها بالعقاب الشديد، وهذا ما

---

(١) ينظر المصدر نفسه، (٢١٢٤/٣)، مادة (سنن)، والقاموس المحيط، للفيروز آبادي (ت ٨١٧هـ)، ط٣، المطبعة المصرية- القاهرة، لسنة (١٣٥٣هـ- ١٩٧٥م)، (٢٣٩/٤).

(٢) ينظر قواعد التحديث في فنون مصطلح الحديث، للقاسمي،ط١، دار الكتب العلمية- بيروت، لسنة(١٣٩٩هـ-١٩٧٩م)، (ص٣٥- ٣٨)، وأصول الحديث علومه ومصطلحه- للدكتور- محمد عجاج الخطيب ط١٠، دار المعارف، لسنة (١٩٨٨م)، (ص١٩).

يفهم من قوله تعالى: ﴿ وَمَن يُبَدِّلْ نِعْمَةَ اللَّهِ مِن بَعْدِ مَا جَاءَتْهُ فَإِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴾[1]، وقوله تعالى: ﴿ وَلَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا ﴾[2]، فالإنسان مستخلف في الارض وليس مالكاً لبيئتها ومواردها حتى يتصرف على هواه فيها دون دستور وضوابط تنظم دوره بالتعامل معها، فالإنسان وصي على هذه المسخرات لا مالك لها، ولما كان مستخلفاً لإدارة واستثمار محيطه الذي يعيش فيه كان لازماً عليه حمايتهُ ورعايتهُ والحفاظ عليه من اي شكل من اشكال التدمير أو التخريب التي نهى عنها الاسلام، فالبيئة لا تعتبر ملكاً لجيل من الاجيال، وانما هي ملك وميراث دائم للبشرية، وانما استخلف الانسان عليها الى اجل معلوم لقوله تعالى: ﴿ وَلَكُمْ فِي الْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَاعٌ إِلَىٰ حِينٍ ﴾[3]، ومن هذا يمكن القول ان الانسان مستأمن على ما استخلف عليه لهذا يجب ان يتصرف الامين في حدود امانته، من خلال التفكير والتأمل والاعتبار في الحكمة التي خلق الكون لأجلها، وكذلك كيفية استثمار هذه الامانة والحفاظ عليها والانتفاع منها والتعمير والتسخير لها بالصور الصحيحة لاستحصال منافعهُ ومصالحهُ، وبالتالي يتطلب ذلك حمايته ورعايته وصيانته لها على اتم الوجوه.

اقول: ان الاهتمام بالبيئة وسلامتها لم يقتصر على التوجيه من خلال اصول الشريعة الاسلامية وانما اخذ مظهراً اخر هو اهتمام فقهاء الاسلام بهذه الناحية عن طريق وضع القواعد والضوابط التي تنظم تعامل الانسان مع هذه البيئة وبيان المسالك الصحيحة لاستغلالها بما يؤمن احتياجاته من غير الاضرار بها وتخريبها وتشويهها وايقافها عن العطاء واختفاء ملامحها وغيرها من صور الضرر التي نهى الاسلام عنها[4]، ومن القواعد الفقهية التي يتفرع منها حماية ورعاية البيئة ((ان الضرر لا يزال

---

(١) سورة البقرة الآية (٢١١).

(٢) سورة الاعراف الآية (٥٦).

(٣) سورة البقرة الآية (٣٦).

(٤) ينظر الاسلام والبيئة (ص٦٢).

بالضرر))، وهي قاعدة متفرعة من قول النبي صلى الله عليه وسلم: ((لا ضرر ولا ضرار من ضار ضاره الله ومن شاق شاقهُ الله عليه))[1]، فهذه القاعدة توجه الى ان حدوث الضرر للغير يعطي الحق لولي الامر التدخل واتخاذ كل ما يلزم للحيلولة دون وقوع ذلك الضرر الذي قد يسبب الاضرار ببعض مكونات البيئة، وعلى سبيل المثال لا يحق لشخص ان يستخدم ممتلكاته بما يضر بها غيره فاذا وضع رجل فرناً للصهر قريباً لحائط جاره كان للقاضي الحكم بإزالتها لما تسببهُ من ضرر بفعل الضجيج والدخان وخطر حدوث الحريق، وكذلك نقيس على هذه القاعدة ومثلها القواعد الاخرى التي وضعها الفقهاء والتي يمكن من خلالها وضع الضوابط والقوانين التي تحافظ على البيئة ومواردها ومن هذه القواعد،((درء المفاسد اولى من جلب المصالح)) و((الضرر يزال بقدر الامكان)) و((الضرر لا يزال بضرر مثله)) و((الضرر الاشد يزال بالأخف))، وغيرها من القواعد الفقهية[2] المعتبرة التي تعبر عن روح الشريعة الاسلامية وسعتها في استحصال الفوائد والقواعد والضوابط الكفيلة، للحفاظ على مظاهر البيئة ومواردها الطبيعية بما يضمن سلامتها وأدامتها ورقيها وازدهارها بما يلبي حاجة المستأمن عليها.

المبحث الثاني:- مظاهر حماية ورعاية البيئة في السنة النبوية.

لابد لنا وقبل الخوض في عرض مظاهر الحماية والرعاية للبيئة من خلال نصوص السنة النبوية الطاهرة ان نشير الى ان عرض هذه النصوص جاء تابعاً لما تدل عليه من اقسام واصناف البيئة التي تحيط بالإنسان من بيئة نباتية او حيوانية او

---

(١) ينظر المستدرك مع تعليق الذهبي، للأمام الذهبي (ت ٧٤٨هـ)، بيروت، د.ت، (٣١٩/٢) بالرقم(٢٣٤٥)، وينظر ايضاً سنن ابي داود، سليمان بن الاشعث (ت ٢٧٥هـ)، دار الفكر- بيروت، تحقيق- محمد محيي الدين عبد الحميد، ابواب من القضاء (٣١٥/٣) بالرقم (٣٦٣٥)، وكذلك الاشباه والنظائر، لابن نجيم (ت٩٧٠هـ)، دار الكتب العلمية- بيروت، لسنة (١٤٠٥هـ-١٩٨٥م)، (ص٨٥).

(٢) ينظر الاشباه والنظائر (ص٨٥-٩٠).

برية او مائية، التي تم الاشارة اليها في المبحث الاول لهذا جعلنا لكل مظهر مطلب اعتماداً على نوع المادة البيئية التي اختص بها مع عرض تحليل لهذه النصوص وكذلك بيان الفوائد المستنبطة التي قد نشير اليها في سياق كلامنا عنها واليك هذه المظاهر.

المطلب الاول:- مظهر حماية ورعاية البيئة المائية.

يتحقق هذا المظهر من مظاهر الحماية للبيئة والرعاية لها عن طريق:-

أ- المحافظة على الماء وحمايته من التلوث.

ب- المحافظة على مصادر المياه وحمايتها من الاسراف والاستنزاف والنفاد والهدر المتعمد.

وقد اكدت السنة النبوية الطاهرة على هذين الامرين بما افصحت عنه نصوصها واليك تفصيل هذا المظهر وبيان الاهمية التي أولتها السنة النبوية به.

أ- المحافظة على الماء وحمايتهُ ورعايتهُ من التلوث. وهذه المحافظة على الماء من التلوث تأتي من خلال الخطوات الاتية :-

١- النهي النبوي الشريف عن البول في الماء، والامثلة على ذلك هي:-

* حديث النبي صلى الله عليه وسلم الذي يرويه عنه ابو هريرة – رضي الله عنه – قوله:((لا يبولنَّ احدكم في الماء الدائم الذي لا يجري ثم يغتسل فيه من الجنابة))[١]، وفي لفظ مسلم:((لا يغتسل احدكم في الماء الدائم وهو جنب ... الحديث))[٢].

---

(١) ينظرصحيح البخاري، محمد بن اسماعيل البخاري (ت٢٥٦هـ)، ط٣، تحقيق- مصطفى ديب البغا، دار ابن كثير اليمامة- بيروت، لسنة (١٤٠٧هـ- ١٩٨٧م)، كتاب الوضوء- باب البول في الماء الدائم (٩٤/١) بالرقم (٢٣٦)، وصحيح مسلم، مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري (ت٢٦١هـ)، تحقيق- محمد فؤاد عبد الباقي، دار احياء التراث العربي- بيروت، د.ت، كتاب الطهارة- باب النهي عن الاغتسال في الماء الراكد (٢٣٦/١) بالرقم (٢٨٣).

(٢) ينظر صحيح مسلم، كتاب الطهارة- باب النهي عن الاغتسال في الماء الراكد (٢٣٦/١) بالرقم (٢٨٣).

* الحديث الذي يرويه اشعث بن عبد الله بن الحسن بن عبد الله بن مغفل قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :((لا يبولنَّ احدكم في مستحمهُ ثم يغتسل فيه... الحديث))[١].

٢- الامر النبوي الشريف بعدم ترك أوعية الشراب مكشوفة ووجوب اغلاقها.

* قول النبي صلى الله عليه وسلم :((خمروا الآنية وأوكئوا الاسقية))[٢]، وقوله صلى الله عليه وسلم :((خمروا الطعام والشراب وأوكئوا الاسقية))[٣].

* قول النبي صلى الله عليه وسلم :((أوكئوا قربكم واذكروا اسم الله – وخمروا آنيتكم واذكروا اسم الله...))[٤]، وقوله صلى الله عليه وسلم :((غطوا الاناء وأوكئوا السقا فإنه في السنة ليلة ينزل فيها وباء لا يمر بإناء ليس عليه غطاء أو سقاء ليس عليه وكاء إلا نزل فيه من ذلك الوباء))[٥].

٣- النهي النبوي بعدم التنفس في الماء المشروب.

---

(١) ينظر سنن ابي داود، باب في البول في المستحم (٧/١) بالرقم (٢٧)، وسنن الترمذي، محمد بن عيسى ابو عيسى الترمذي (ت ٢٧٩هـ)، تحقيق- احمد محمد شاكر واخرون، دار احياء التراث العربي- بيروت، د.ت، باب ما جاء في كراهية البول في المغتسل (٣٣/١) بالرقم (٢١).

(٢) ينظرصحيح البخاري، كتاب بدء الخلق- باب خمس من الدواب فواسق يقتلن في الحرم، (١٢٠٥/٣) بالرقم (٣١٣٨).

(٣) ينظرصحيح البخاري، كتاب الاشربة- باب تغطية الاناء (٢١٣٢/٥) بالرقم (٥٣٠١) وجاء بلفظ ((وأوكؤا الاسقية وخمروا الطعام والشراب... الحديث)).

(٤) ينظر صحيح البخاري، كتاب الاشربة- باب تغطية الاناء (٢١٣١/٥) بالرقم (٥٣٠٠)، وصحيح مسلم، كتاب الاشربة- باب الامر بتغطية الاناء الى اخره (١٥٩٥/٣) بالرقم (٢٠١٢).

(٥) ينظر صحيح مسلم، كتاب الاشربة- باب الامر بتغطية الأنا الى اخره (١٥٩٦/٣) بالرقم (٢٠١٤).

* قول النبي صلى الله عليه وسلم: ((اذا شرب احدكم فلا يتنفس في الاناء... الحديث))[١].

٤- النهي النبوي عن تلويث مصادر البيئة ومنها الموارد المائية.

* قول النبي صلى الله عليه وسلم :((أتقوا الملاعن الثلاث: البراز في الموارد، وقارعة الطريق، والظل... الحديث))[٢].

ان الناظر الى هذه الاحاديث النبوية الشريفة وغيرها، يجدها بمثابة وثيقة، ضمت عدة قوانين وتوجيهات من لدن النبي صلى الله عليه وسلم ، وبرنامج وقائي وعملي تطبيقي لامته في كيفية المحافظة على البيئة المائية وحمايتها ورعايتها باعتبارها العنصر الرئيسي الذي قامت به المظاهر الحياتية على سطح الارض، لقوله تعالى: ﴿ وَجَعَلْنَا مِنَ ٱلْمَآءِ كُلَّ شَىْءٍ حَىٍّ ﴾[٣]، فقد جاءت انواره صلى الله عليه وسلم ناهيةً ان يبال في الماء الراكد والماء الجاري، ومكان استحمامه ومغتسلهُ، فإلى جانب النظرة النبوية الى الماء كونه اساس الحياة فانه يوقن عليه الصلاة والسلام يقيناً تاماً في مدى الخطورة الكبيرة الناتجة عن مسألة التبول والتبرز في المياه ، ومالها من تأثير فاحش وخطير على البيئة وعلى صحة الانسان كونه يعيش فيها، وذلك لان البول والبراز يؤديان الى نجاسة المياه وعدم طهارتها وجعلها ملوثة مما يؤدي الى عدم الاستفادة منها وهذا هو احد صور الهدر والاستنزاف لها، وان مثل هذه السلوكيات تجعل البيئة المائية بيئة خصبة لتكاثر المايكروبات والفايروسات التي تساعد على انتشار الامراض المعدية، ومن المعلوم ان كثير من الامراض يمكن ان تنتقل من خلال استعمال المياه الملوثة والنجسة التي اصبحت غير صالحة للاستعمال البشري بفعل البول او البراز فيها، او من خلال رمي النفايات والمواد السامة والمواد الجرثومية من خلال ضخ هذه

---

(١) ينظر صحيح البخاري، كتاب الوضوء- باب النهي عن الاستنجاء باليمين (٦٩/١) بالرقم (١٥٢).

(٢) ينظر سنن ابي داود، باب المواضع التي نهى النبي (ﷺ) عن البول فيها (٧/١) بالرقم (٢٦).

(٣) سورة الانبياء الآية (٣٠).

المواد الملوثة في المياه العادمة الناتجة عن الصناعات المختلفة، فاذا كان النهي النبوي الشريف عن تلويث المياه قائم في البول والبراز، فان النهي عن ما هو اكبر واخطر من هذه النجاسات أولى بالتحريم كالمواد العضوية والجرثومية والكيمياوية، لما تحويه جميع هذه المواد الخارجة من الانسان او غيره من طفيليات وآفات تسبب تلويث المياه وبالتالي ظهور الكثير من الامراض كالبلهارزية البولية والكوليرا، والزحار الاميبي، والديدان المستديرة والتيفوئيد، والتهاب الكبد الوبائي، وشلل الاطفال وغيرها من الامراض التي تنتقل بواسطة المياه النجسة وكما اشار اليها المتخصصون والباحثون في يومنا الحاضر[1]. واما النهي النبوي الخاص بعدم التنفس في المياه بعد الشرب والامر بعدم ترك الاوعية مكشوفة ووجوب تغطيتها واغلاقها، فهذا حاصل من النظر الثاقب للنبي صلى الله عليه وسلم لهذا الامر من جهة ، ومن جهة اخرى حرص السنة النبوية وإهتمامها بهذه البيئة، فلم تقتصر نظرتها على ما يلقى في المياه بل تعدت الى ما هو محيط بالبيئة المائية من محيط هوائي، فان مسألة عدم التنفس في المياه بعد الشرب ووجوب اغلاق الاوعية المستعملة للشرب وعدم تركها مكشوفة فيه دلالة واضحة على احاطة علم النبي صلى الله عليه وسلم بما يحتويه المحيط الهوائي من فايروسات وأوبئة والتي يمكن انتقالها عن طريق الهواء الى الوسط المائي، فهناك الكثير من الطفيليات التي تتخذ من الهواء محيطاً جيداً للعدوى متخذة من الوسط المائي احدى طرق انتقالها من خلال تلويث المياه بها، ومن ثم انتقالها الى مضيف اخر، وبالأخص التيفوئيد اضافة الى ما ذكرناه اعلاه ، وما هذه المناظر للتلوث والامراض الا نتيجة حتمية لإهمال المصدر الاساس للحياة وهو الماء وتلويثهُ سواء بإلقاء الملوثات او تركهُ عرضة للأوبئة لعدم اتباع الهدي النبوي في ذلك، لهذا جاءت المسؤولية جماعية القاها على الناس لحماية هذا المظهر من مظاهر البيئة ،

---

(١) ينظر البيئة في الاسلام (ص١٠١- ١٠٣)، بتصرف.

بقوله صلى الله عليه وسلم :((الناس شركاء في ثلاث، الماء والكلأ والنار))[1]، فحماية هذا المشترك ورعايتهُ واجب سلوكي وشرعي على الناس وهذا ما يفهم من الحديث الشريف.

ب- المحافظة على الماء بعدم الاسراف والاستنزاف والهدر المتعمد.

تواردت الاحاديث الشريفة في الاشارة الى المحافظة على المصادر والموارد المائية من الاسراف والتبذير والاستنزاف والهدر المتعمد مما يؤدي الى الاضرار بها وبالتالي نفاذها، وقد جاءت اشارة المحافظة على البيئة المائية في هذه الاحاديث متمثلة بصورتين:-

١- التوجيه النبوي الى الاقتصاد في استعمال المياه وترشيد استهلاكها والمحافظة عليها.

* حديث النبي صلى الله عليه وسلم عندما مرَّ بسعد بن ابي وقاص وهو يتوضأ فقال له النبي صلى الله عليه وسلم: ((ما هذا السرف؟ فقال: أفي الوضوء إسراف، قال: نعم وان كنت على نهر جار))[2].

* وقوله صلى الله عليه وسلم :((كلوا واشربوا وتصدقوا وألبسوا مالم يخالطهُ إسراف او مخيلة))[1].

---

(١) ينظر مسند الحارث ((زوائد الهيثمي))، الحارث بن أبي اسامة، والحافظ نور الدين الهيثمي (ت٢٨٢هـ)، ط١، تحقيق- الدكتور- حسين احمد صالح الباكري، مركز خدمة السنة والسيرة النبوية- المدينة المنورة، لسنة (١٤١٣هـ- ١٩٩٢م)، باب الناس شركاء في ثلاث (٥٠٨/١) بالرقم (٤٤٩)، وقد جاء بلفظ:((المسلمون شركاء في ثلاث...الحديث))، وينظر مسند احمد، للإمام احمد بن حنبل (ت٢٤١هـ)، مؤسسة قرطبة- مصر، د.ت (٣٦٤/٥) بالرقم (٢٣١٣٢).

(٢) ينظر سنن ابن ماجه، محمد بن يزيد ابو عبد الله القزويني (ت٢٧٥هـ)، تحقيق- محمد فؤاد عبد الباقي، دار الفكر- بيروت، د.ت، باب ما جاء في القصد في الوضوء وكراهية التعدي فيه (١٤٧/١) بالرقم (٤٢٥).

* ما روي عن ابن جبر قال:((سمعت أنساً يقول: كان النبي صلى الله عليه وسلم يغسل – أو كان يغتسل– بالصاع الى خمسةِ أمداد، ويتوضأ بالمدّ))[٢].
* وعن ام المؤمنين عائشة – رضي الله عنها – أنها:((كانت تغتسل هي والنبي صلى الله عليه وسلم في إناء واحد يسع ثلاثة أمداد، أو قريباً من ذلك))[٣]

٢- التوجيه النبوي بعدم تلويث المياه الذي يعتبر احد وجوه الاستنزاف والاستهلاك والهدر لان في تلويث الماء هدرٌ له ، وذلك لعدم الاستفادة منهُ بعد تلوثهُ، وهذا ما رأيناه في نهي النبي صلى الله عليه وسلم عن البول والتبرز في المياه ، وهذا يشمل جميع المواد الضارة التي تلقى في المياه، وكذلك عدم تعريض المياه للمحيط الخارجي الذي قد يسبب نجاستها وبالتالي هدرها وعدم استهلاكها بصورة صحيحة كإحدى متطلبات ديمومة الحياة، بل يجب الاقتصاد في استخدام كميات المياه المستعملة كي لا نعرضها للاستهلاك والهدر اذا ما أصابها التلوث والنجاسة وهذا ما يصوره الحديث الاتي.

* ففي حديث النهي عن غسل الجنب في الماء الدائم، وعن الكيفية التي نجنب المياه فيها قضية التلوث الحديث الذي رواه ابو هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم عندما سئل ابو هريرة عن هذه الكيفية التي يجب اتباعها للاقتصاد في الماء وعدم

---

(١) ينظر سنن ابن ماجة، باب ألبس ما شئت ما أخطأك سرف أو مخيلة (١١٩٢/٢) بالرقم (٣٦٠٥)، ولفظه في صحيح البخاري– كتاب اللباس:((كلوا واشربوا والبسوا وتصدقوا في غير إسراف او مخيلة))، (٢١٨١/٥).

(٢) ينظر صحيح البخاري، كتاب الطهارة– باب الوضوء بالمد (٨٤/١) بالرقم (١٩٨).

(٣) ينظر صحيح مسلم، كتاب الحيض– باب القدر المستحب من الماء في غسل الجنابة وغسل الرجل والمرأة في أناء واحد في حالة واحدة وغسل أحدهما بفضل الاخر، (٢٥٦/١) بالرقم (٣٢١).

تعريضه للتلوث، فقال ابو هريرة –رضي الله عنه– :((يتناولهُ تناولاً))[1]. في الارشاد الى الطرق السليمة لاستعمال الماء وكذلك الحث على عدم استعمال كميات كبيرة للغسل او غيرها من الامور الاخرى ، مما يسبب الاستنزاف والهدر للمياه. وهذه الاحاديث بمجموعها ترشد الى صور عظيمة ضربتها لنا السنة النبوية الطاهرة في المحافظة على البيئة المائية وحمايتها ورعايتها من الاسراف والاستهلاك والهدر المتعمد مما يعرضها الى النفاذ والجفاف وبالتالي يؤدي الى عدم تلبيتها لحاجة المخلوقات على سطح الارض، فقد وجه النبي عليه الصلاة والسلام الى عدم الاسراف في استعمال هذه الثروة حتى وان كان هذا الاستعمال من مسائل العبادة كالوضوء، والغسل من الجنابة وغيرها، بل كان صلى الله عليه وسلم اول المطبقين لهذا التوجيه وهذا المبداء العظيم الذي رسم له صورة في وضوؤه وغسله في بيئتهِ صلى الله عليه وسلم فمنظر الاقتصاد وعدم الاسراف في استعمال المياه ظاهر ومفهوم وذا دلالة واضحة في نصوص هذه الاحاديث الشريفة.

المطلب الثاني:- مظهر حماية ورعاية البيئة البرية.

يمكن ان نلخص هذا المظهر من مظاهر حماية ورعاية البيئة بالنقاط الاتية :

أ– حث السنة النبوية الطاهرة على نظافة البيئة البرية وهي على صور.

ب– نهي السنة النبوية الطاهرة عن الاضرار بالبيئة البرية عن طريق تلويثها برمي النجاسات ويقاس عليها جميع انواع النفايات الضارة الاخرى واليك التفصل.

* صور حث السنة النبوية على نظافة البيئة البرية.

١– اعتبار النظافة والمحافظة والمداومة عليها شعبة من شعب الايمان.

---

(١) ينظر صحيح مسلم، كتاب الطهارة– باب النهي عن الاغتسال في الماء الراكد (٢٣٦/١) بالرقم (٢٨٣).

- ما روي من طريق ابي هريرة – رضي الله عنه – قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ((الأيمان بضع وسبعون أو بضع وستون شعبة، فأفضلها قول لا إله إلا الله، وأدناها إماطة الأذى عن الطريق... الحديث))[١].

٢- اعتبار النظافة نوع من انواع العبادات التي يتقرب بها العبد الى ربه.

- الحديث ((بينما رجل يمشي بطريق وجد غصن شوك على الطريق فأخره فشكر الله له فغفر له ... الحديث))[٢].

٣- اعتبار النظافة والمداومة عليها مدعاة لجلب الحسنات ودخول الجنة.

- ما روي من طريق المستنير بن أخضر قال: حدثني معاوية بن قرة قال: ((كنت مع معقل المزني، فأماط أذى عن الطريق، فرأيت شيئاً فبادرتهُ، فقال: ما حملك على ما صنعت يا أبن أخي؟ قال: رأيتك تصنع شيئاً فصنعتهُ. فقال: أحسنت يا أبن أخي، سمعتُ النبي صلى الله عليه وسلم يقول: من اماط اذى عن طريق المسلمين كتبت له حسنة، ومن تُقبلت له حسنة دخل الجنة))[٣].

٤- اعتبار النظافة والحث عليها باب من ابواب الخير ووصية النبي صلى الله عليه وسلم .

- ما روي من طريق ابي برزة الاسلمي – رضي الله عنه – قال:((قلت: يا نبي الله علمني شيئاً انتفع به؟ قال: أعزل الاذى عن طريق المسلمين...الحديث))[٤].

---

(١) ينظر صحيح مسلم، كتاب الايمان- باب بيان عدد شعب الايمان وأفضلها وأدناها وفضيلة الحياء وكونه من الايمان (٦٣/١) بالرقم (٣٥).

(٢) ينظر صحيح البخاري، كتاب الجماعة والأمامة- باب فضل التهجير الى الظهر (٢٣٣/١) بالرقم (٦٢٤).

(٣) ينظر مجمع الزوائد، علي بن ابي بكر الهيثمي (ت٨٠٧هـ)، دار الريان للتراث- دار الكتاب العربي- القاهرة- بيروت، لسنة (١٤٠٧هـ)، باب عزل الاذى عن الطريق، بأسناد حسن (١٣٦/٣).

(٤) ينظر صحيح مسلم، كتاب البر والصلة والآداب- باب فضل إزالة الاذى عن الطريق (٢٠٢١/٤)، بالرقم (٢٦١٨).

٥- اعتبار النظافة شعار المسلمين واحدى حسنات الامة يوم القيامة واحد اعمالها الصالحة.

- قول النبي صلى الله عليه وسلم :((عرضت علي أعمال أمتي حسنها وسيِّئُها فوجدت في محاسن أعمالها الاذى يماط عن الطريق ووجدت في مساوئ أعمالها النخامة تكون في المسجد لا تدفن))[١].

* صورة النهي عن تلويث البيئة البرية والاضرار بها برمي النجاسات وما يقاس عليها من نفيات.

١- التحذير من مسألة تلويث البيئة البرية واعتبارها سبباً من اسباب سخط الله تعالى ولعنته.

- لقوله صلى الله عليه وسلم :((اتقوا اللعانين، قالوا: وما اللعانين يا رسول الله؟ قال: الذي يتخلى في طريق الناس أو في ظلهم))[٢].

- ما روي من طريق ابو سعيد الحميري عن طريق معاذ بن جبل – رضي الله عنه – ، قال: ((قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :اتقوا الملاعن الثلاث: البراز في الموارد وقارعة الطريق والظل))[٣].

ان هذه النصوص الشريفة ازالت اللثام عن الاهمية الكبيرة التي اولتها السنة النبوية الطاهرة لقضية حماية البيئة وتضاريسها ورعايتها، ابتداءً من كونها شعبة من شعب الايمان ومروراً بكونها عبادة يتقرب العبد من خلالها الى الباري عز وجل كونها باب من ابواب الخير الجالبة للحسنات التي يدخل بها العبد الجنة، لهذا جُعلت مسألة نظافة البيئة بشكل عام والبيئة البرية بشكل خاص شعاراً للمسلمين يوم القيامة عند عرض الاعمال، هذا من ناحية ومن ناحية اخرى نجد ان السنة النبوية الطاهرة قد

---

(١) ينظر صحيح مسلم، كتاب المساجد ومواضع الصلاة- باب النهي عن البصاق في المساجد في الصلاة وغيرها، (٣٩٠/١) بالرقم (٥٥٣).

(٢) ينظر المصدر نفسه، كتاب الطهارة- باب النهي عن التخلي في الطرق والظلال، (٢٢٦/١) بالرقم (٢٦٩).

(٣) ينظر سنن أبي داود، باب المواضع التي نهى النبي (ﷺ) عن البول فيها (٧/١) بالرقم (٢٦).

اكدت على قضية التحذير والترهيب من عدم اطاعة الاوامر النبوية ومخالفتها مما يكون مدعاةً وسبباً من أسباب اللعنة الجالبة لغضب الله تعالى وسخطه، وذلك من خلال الاضرار بالبيئة البرية وعدم حمايتها ورعايتها بإلقاء النجاسات وانواع النفايات فيها مما يجعل هذه المظاهر غير صحية وغير حضارية اضافة الى ما تشكلهُ من خطورة ليس على البيئة البرية فحسب بل على الانسان الذي يتخذ منها مستقراً له، وهذا ما هو ظاهر من قول النبي صلى الله عليه وسلم:((الذي يتخلى في طريق الناس أو في ظلهم))، وقوله:((قارعة الطريق والظل))، فالبراز والتخلي في طريق المارة أو الظل من الأمور المخالفة للسلوكيات والاخلاقيات العامة التي دعت اليها السنة النبوية الطاهرة وحرصت الحرص الشديد على تنميتها في الشخصية المسلمة كونها احدى الركائز المهمة التي تساهم في بناء المجتمع الصحي والحياة الراقية والمزدهرة له، ومن ناحية اخرى ان مسألة القاء النجاسة في الطريق او الظل يؤدي الى تلوث البيئة من خلال تأثرها بما يلقى فيها من نجاسات ونفايات سامة، فأماكن الظل مثلاً هي من المناطق التي جاء النهي عن التخلي أو البول او القاء النجاسة او المواد السامة فيها وذلك لان هذه الاماكن هي اماكن يركن اليها المارة للراحة من مشقة السفر أو غيره، وربما لان الشمس لا تدخلها مما يؤدي الى عدم طهارتها وتلوثها بشكل كبير بما يلقى فيها من نجاسات ونفايات مما يجعلها محط للأوبئة وموضع للأمراض وبالتالي مظهراً من مظاهر تلوث وتسمم البيئة البرية والاضرار بها وهذا ما يكون جالباً للعقاب واللعن من منظور السنة الطاهرة.

المطلب الثالث :- مظهر حماية ورعاية البيئة النباتية.

البيئة النباتية هي احدى اهم ركائز البيئة المحيطة بالإنسان لما تلعبهُ من دور فاعل في حفظ التوازن البيئي من غازات ، وكذلك سد حاجات البشرية للمادة الاولية التي تضمن بقائها واستمرارها، والغطاء النباتي هو احد المظاهر المهمة التي اعتنت السنة النبوية بها ووضعت لها الضوابط والأسس الكفيلة بحمايتها ورعايتها وبالتالي

تنميتها وديمومتها، ولهذا المظهر من مظاهر حماية ورعاية البيئة صور نقف عندها ونفصل القول فيها وهي:

١- حث السنة النبوية الطاهرة على الغرس والزراعة حتى نهاية العمر أو قريب من قيام الساعة للمبالغة في الحث على الزراعة، وهذا من الاركان الاساسية لديمومة الغطاء النباتي واستمراره.

* ما روي عن انس – رضي الله عنه – ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال:((ان قامت الساعة، وفي يد أحدكم فسيلة، فإن استطاع ألا تقوم حتى يغرسها فليفعل))[١].

٢- حث السنة النبوية اصحاب الارض الزراعية على زراعتها بأنفسهم وان لم يستطيع صاحب الارض من زراعتها لعذر جسماني أو مادي فليزرعها اخاه المسلم القادر عليها.

* ما روي عن جابر- رضي الله عنه – ، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :((من كانت له ارض فليزرعها فإن لم يزرعها فليزرعها اخاه))[٢].

٣- حث السنة النبوية على الزراعة والغرس والتشجير من خلال تشريع امتياز تمليك الارض لمن قام بأحيائها وزراعتها.

* عن عائشة ام المؤمنين – رضي الله عنها – عن النبي صلى الله عليه وسلم ، انه قال :((من أعمر ارضاً ليست لأحد فهو أحق ... الحديث))[٣]. أي احق بها.

* وعن عمر بن الخطاب – رضي الله عنه – :((من احيا ارضاً ميتة فهي له))[٤].

---

(١) ينظر الاحاديث المختارة، للمقدسي (ت٦٤٣هـ)، ط١، تحقيق- عبد الملك بن عبد الله بن دهيش، مكتبة النهضة الحديثة- مكة المكرمة، لسنة (١٤١٠هـ)، (٢٦٤/٧) بالرقم (٢٧١٥).

(٢) ينظر صحيح مسلم، كتاب البيوع- باب كراء الارض (١١٧٦/٣) بالرقم (١٥٣٦).

(٣) ينظر صحيح البخاري، كتاب المزارعة- باب من أحيا أرضا مواتا... الخ (٨٢٣/٢) بالرقم (٢٢١٠).

(٤) ينظر المصدر نفسه، بنفس الكتاب والباب، (٨٢٣/٢) بالرقم (٢٢١٠).

٤- اعتبار السنة النبوية الزراعة والحرث والغرس باب من أبواب الخير الذي يعود على صاحب الزرع بالأجر والثواب والخير مما يكون مدعاة للفوز بمرضاة الله تعالى.

* عن أنس – رضي الله عنه – ، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:((ما من مسلم يغرس غرساً أو يزرع زرعاً، فيأكل منه طير أو إنسان أو بهيمة الا كان له به صدقة))[١].

* وقول النبي صلى الله عليه وسلم :((ما من مسلم يغرس غرساً الا كان ما أكل منهُ له صدقة، وما سرق منه له صدقة وما أكل السبع منهُ فهو له صدقة وما أكلت الطير فهو له صدقة ولا يرزؤهُ احد الا كان له صدقة))[٢].

* ما روي عن ابي الدرداء – رضي الله عنه – ، قال: سمعتُ رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول:((من غرس غرساً لم يأكل منهُ آدمي ولا خلق من خلق الله الا كان له به صدقة))[٣].

٥- تحذير السنة الطاهرة وترهيبها ونهيها عن قطع الاشجار والنباتات ظلماً وإسرافاً وجعلها مدعاة لجلب سخط الله تعالى وغضبه ودخول النار.

* حديث النبي صلى الله عليه وسلم :((من قطع سدرة صوب الله رأسه في النار))[٤].

* وصية الخلفاء من بعد النبي صلى الله عليه وسلم ، ومنها وصية الصديق أبي بكر–رضي الله عنه– لقادة جيشه بعدم تقطيع الشجر وتخريبه في الحرب، بقوله:

---

(١) ينظر صحيح مسلم، كتاب المساقاة– باب فضل الغرس والزرع (١١٨٩/٣) بالرقم (١٥٥٣).

(٢) ينظر المصدر نفسه، بنفس الكتاب والباب (١١٨٨/٣) بالرقم (١٥٥٢).

(٣) ينظر مجمع الزوائد، باب اتخاذ الشجر وغير ذلك، ورجاله موثقون (٦٨/٤).

(٤) ينظر سنن ابي داود، باب في قطع السدر (٣٦١/٤) بالرقم (٥٢٣٩).

((لا تعقروا نخلاً ولا تحرقوه، ولا تقطعوا شجرة مثمرة، ولا تذبحوا شاة ولا بقرة ولا بعيراً ألا لمأكلة...))[1]. وغيرها من النصوص.

أقول: ان مجمل هذه النصوص الشريفة قد أتفقت على هدف واحد وصبت في مصبٍ واحد وهو الحرص والحماية والرعاية للبيئة النباتية عن طريق الحث على الغرس والزرع وادامة الارض والعناية بها والتحذير والوعيد لمن اعتدى على البيئة النباتية جزافاً وعدواناً، فجميع هذه الاحاديث تدل على الحث والتحفيز على عمارة الارض من خلال زراعتها وتشجيرها من اجل ديمومة قدرتها التعويضية للوفاء بالحاجات المطلوبة لدوام العملية الحياتية للبشرية، فنجد في الحديث الاول اقتران الحث على الغرس والزرع بقيام الساعة وهذا الاقتران لم يأتي الا من نظر ثاقب وبصر سالك من لدن النبي صلى الله عليه وسلم لما فيه من الاهمية الكبرى والفاعلة لحياة الانسان وتأمين عيشه ورزقه وغيرها من المظاهر الحياتية، فليس هناك تحريض على الغرس والزرع الى اخر رمق في حياة الانسان من هذا الحديث الشريف، لأنه يرشد الى ما يجب ان يكون عليه المسلم من طبيعة منتجة وخيرة، تحثه على العمل حتى عند اقتراب قيام الساعة، هذا من جهة ومن جهة اخرى ارشدت السنة النبوية الى مسألة عدم ترك الارض كي تبور وتفسد فان تعذر على المسلم زراعة أرضه منحها الى غيره من المسلمين لزراعتها وعمارتها وبالتالي المحافظة على الغطاء النباتي او بيئتهُ ورعايتها، كما وتعتبر السنة الطاهرة هي اول من وضع المحفزات المادية للمحافظة على البيئة النباتية من خلال وضع دستور محكم لم يسبقها له غيرها من الانظمة والقوانين الوضعية الحديثة وهذا القانون يقول:((ان من عَمَّرَ أرضاً وأحياها فهو احق بها)) اي فهي ملكه اذ لم يكن لها صاحب، ولا تخفى الفائدة المادية والاقتصادية للفرد التي تضمنها هذا القانون النبوي، اضافة الى هذا ان المحافظة

---

(١) ينظر سنن البيهقي الكبرى، لابي بكر البيهقي (ت ٤٥٨هـ)، تحقيق- محمد عبد القادر عطا، مكتبة دار الباز- مكة المكرمة، لسنة (١٤١٤هـ- ١٩٩٤م)، باب من اختار الكف عن القطع والتحريق (٨٥/٩)، بمعناه.

والحماية والرعاية للبيئة النباتية على اختلاف صورها يعد باباً واسعاً من ابواب مرضاة الله تعالى من خلال الاجر العظيم الذي اعده المولى عز وجل لصاحب الزرع اذا ما اكل منه آدمي او بهيمة او دابة او طير وحتى اذا ما سرق منه فهو لصاحبه صدقة وأجر جزيل عند الله تعالى، وكما جعلت السنة الطاهرة الثواب والخير لصاحب الزرع والغرس فقد وضعت العقاب والسخط واللعنة ودخول النار لمن اعتدى على هذا النوع من انواع البيئة ولا يخفى ما في هذا من تمام واعجاز وكمال للسنة الطاهرة من جهة التشريع، فمن اعتدى بقطع الاشجار وغيرها عبثاً وظلماً وعدواناً واسرافاً لا لفائدة ادخله الله النار وضربت السنة النبوية مثلاً بشجرة ((السدر)) ويقاس عليها كل انواع الشجر دون تفصيل، فهذه العناية والحماية والرعاية هي وصية رسول الله صلى الله عليه وسلم بهذه ((البيئة)) وهي وصية خلفائه من بعده، لجيوشهم، ويتضح من ذلك ان هذه الوصية هي دعوة الاسلام للحفاظ على الحياة البرية من نبات وحيوان وطير ولهذا يعتبر هذا التشريع تشريعاً متقدماً للمحاربين في اسلوب الحفاظ على البيئة من الاتلاف والتدمير والقطع والحرق، الامر الذي يدل على عظمة الاسلام وسموه ورقيه على التشريعات الاخرى في حماية البيئة والطبيعة[1]، ولابد ان نشير في هذا الموضع ان الحياة النباتية الحاضرة لم تسلم من التدمير سواء كان هذا ناتجاً عن قطع الاشجار وظهور بوادر التصحر او الرعي الجائر للحشائش الطبيعية او نتيجة استخدام المبيدات الحشرية والكيمياويات في الارض، وعلى سبيل المثال: فان الغابات الان لا تغطي سوى ((٢٤ مليون كيلومتر مربع)) من مساحة اليابسة بينما كانت مساحتها تتجاوز ((٣٧ مليون كيلومتر مربع))، وهذا ناتج عن اختلال التوازن بين عناصر الطبيعة وزوال التربة واختلال تصريف المياه فان زيادة حاجة الانسان للموارد النباتية تلزم الانسان بالحفاظ على الغابات وتنظيم استغلالها ولا سيما في المناطق المعتدلة الحرارة التي تعد اكثر المناطق عرضة للاستنزاف والهدر المتعمد، فقد جاء في مؤتمر

---

(١) ينظر البيئة من منظور إسلامي، للدكتور- علي علي السكري، منشأة المعارف- الاسكندرية، لسنة (١٩٩٥م)، (ص١٦).

((قمة الارض- ريودي جانيرو لسنة ١٩٩٢م)) ان الغابات الاستوائية تفقد من اشجارها كل عام مساحة تعادل مساحة دولة النمسا بينما يفقد العالم كله نحو ((١٨ مليون هكتار)) من الغابات سنوياً[١]، ومن جهة اخرى اكدت الدراسات ان ما يزيد على ((٩٠)) دولة تواجه مشكلة التصحر وذلك لانخفاض انتاجية الارض فيها خلال عشرين عام بمعدل ((٤٠%))، كما اكد الخبراء ان احتمال نقص الاراضي القابلة للزراعة تصل الى ((٢٥%)) من الاراضي المزروعة في الدول النامية حتى عام ((٢٠٠٠م))[٢]. واليك هذه الارقام لكي توضح لك الصورة على ما تلتهمه آفة التصحر سنوياً من مقدرات الحياة النباتية. تدهور ((٢١ مليون)) هكتار من الاراضي الزراعية بحيث اصبحت غير مجدية اقتصادياً، كما وان التصحر يسبب خسائر اقتصادية تقدر بـ ((٢٦)) ترليون دولار سنوياً، كما ويقدر معدل زحف التصحر في السودان مثلاً بنحو((١٠ كيلو متر)) سنوياً، ويقدر معدل انخفاض الغابات في المغرب مثلاً بنحو ((٣٠)) الف هكتار من سنة ((١٩٤٠ الى سنة ١٩٨١م))، واما معدل انخفاض غابات الصنوبر في دولة تونس مثلاً تقدر بـ((١٨٠٠)) هكتار سنوياً[٣]. وهذه الارقام عرضناها للتمثيل دون الحصر لكي تتولد لدينا القدرة على سن القوانين التي تكفل لنا حماية ورعاية الحياة النباتية على سطح كرتنا الارضية بما يضمن دوامها وبقائها واستمرار قدرتها على الوفاء بحاجة الكائنات على سطحها.

المطلب الرابع:- مظهر حماية ورعاية البيئة الحيوانية.

ان البيئة الحيوانية هي احدى مكونات ومرتكزات البيئة الطبيعية التي تحيط بنا نحن البشر باعتبارها احد المظاهر التي اوجدها الباري عز وجل من غير تدخل

---

(١) ينظر الاسلام والبيئة، عبد العظيم احمد عبد العظيم، مؤسسة شباب الجامعة- الإسكندرية، لسنة (١٩٩٩م)، (ص٥٤) باختصار وتصرف.

(٢) ينظر إنهم يقتلون البيئة، للدكتور- ممدوح حامد عطية، الهيئة المصرية العامة للكتاب- القاهرة، لسنة(١٩٩٧م)، (ص٧٣).

(٣) ينظر البيئة في الفكر الانساني والواقع الأيماني، للدكتور- عبد الحكم عبد اللطيف الصعيدي، الدار المصرية اللبنانية- القاهرة، ط١، لسنة (١٩٩٤م)، (ص٥٩-٦٠).

للإنسان فيها، وكونها احدى المتطلبات الضرورية والموارد الطبيعية التي تساهم اسهاماً فعالاً في تأمين الأمن الغذائي للإنسان والخدمي من جهة اخرى، لهذا لم تكن البيئة الحيوانية بعيداً عن منظور السنة الطاهرة وعنايتها وارشاداتها لما لها من أهمية بارزة في عملية تنمية وادامة العملية الحياتية للمجتمعات الانسانية على مر الاعصار لذا يمكننا ان نقول في هذا المظهر ان جوانبه ومعالمهُ تكتمل في صورٍ التمسناها من بين نصوص السنة النبوية الطاهرة واليك تفصيل هذه الصور مع أدلتها:

١- حث السنة النبوية الطاهرة على المحافظة على حياة الحيوانات من خلال تجنب أتلافها وإزهاق أرواحها عبثاً وظلماً وإسرافاً مما يكون مدعاة لجلب العقاب من الله تعالى وسخطه وناره.

* قول النبي صلى الله عليه وسلم :((ما من انسان يقتل عصفوراً فما فوقها بغير حقها الا سألهُ الله عنها يوم القيامة، قيل: يا رسول الله وما حقها؟ قال: حقها ان يذبحها فيأكلها ولا يقطع رأسها فرمى بها))[١].

* قول النبي صلى الله عليه وسلم :((من قتل عصفوراً عبثاً عج الى الله يوم القيامة، يقول: يا رب ان فلاناً قتلني عبثاً، ولم يقتلني لمنفعة))[٢].

٢- حث السنة النبوية وترغيبها على الرحمة بالحيوان والشفقة عليه مما يكون سبباً لمرضاة الله تعالى ومغفرته والفوز بالجنة.

* ما روي عن ابي هريرة – رضي الله عنه –، ان رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قال:((بينا رجل بطريق اشتد عليه العطش، فوجد بئراً فنزل فيها، فشرب ثم خرج، فاذا كلب يلهث يأكل الثرى من العطش، فقال الرجل: لقد بلغ هذا الكلب من العطش مثل الذي كان بلغ مني، فنزل البئر فملأ خفه ماء، فسقى الكلب فشكر الله

---

(١) ينظر السنن الكبرى، للنسائي (ت٣٠٣هـ)، ط١، تحقيق- الدكتور- عبد الغفار البنداري وسيد كسروي حسن، دار الكتب العلمية- بيروت، لسنة (١٤١١هـ-١٩٩١م)، (٧٣/٣) بالرقم (٤٥٣٤).

(٢) ينظر المصدر نفسه، (٧٣/٣) بالرقم (٤٥٣٥).

له فغفر له، قالوا: يا رسول الله: وان لنا في البهائم لأجراً؟ فقال: في كل ذات كبداً رطبة اجراً))[١].

* وعن ابي هريرة – رضي الله عنه – ، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :((بينما كلب يطيق بركبيه، كاد يقتله العطش، اذ رأتهُ بغي من بغايا بني اسرائيل، فنزعت موقعها فاستقت له به فسقتهُ إياه فغفر لها به))[٢].

٣- التحذير الشديد في السنة النبوية الطاهرة والتأكيد على منع الاعتداء على الحيوانات وتعذيبها وحماية حقوقها حسياً ومعنوياً، مما يكون مدعاة لعذاب الله ودخول ناره.

أ- الاعتداء والتعذيب الحسي على الحيوانات.

* ما روي عن جابر- رضي الله عنه – ، ان النبي صلى الله عليه وسلم ، مرَّ عليه حمار قد وُسم في وجههِ فقال:((لعن الله الذي وسمه))[٣].

* ما روي ان النبي صلى الله عليه وسلم ، قد رأى قرية نمل حرقت فقال:((من حرق هذه؟ قلنا: نحن حرقناها، قال: أنه لا ينبغي ان يعذب بالنار إلا رب النار))[٤].

* ما روي عن عبد الله بن جعفر- رضي الله عنهما- قال:((أردفني رسول الله صلى الله عليه وسلم خلفهُ ذات يوم، فأسر إلي حديثاً لا أحدث به أحداً من الناس، وكان أحب ما أستتر به رسول الله صلى الله عليه وسلم لحاجته هدف او حائش النخل، فدخل حائطاً لرجل من الانصار فاذا جمل، فلما رأى النبي صلى الله علية وسلم حنَّ وذرفت عيناه، فأتاه النبي صلى الله عليه وسلم ، فمسح ذفراه فسكت فقال: من

---

(١) ينظر صحيح مسلم، كتاب السلام- باب فضل ساقي البهائم المحترمة وإطعامها، (١٧٦١/٤) بالرقم (٢٢٤٤).

(٢) ينظر المصدر نفسه، كتاب السلام- باب فضل ساقي البهائم المحترمة وإطعامها، (١٧٦١/٤) بالرقم (٢٢٤٥).

(٣) ينظر المصدر نفسه،كتاب السلام- باب النهي عن ضرب الحيوان في وجههِ ووسمه فيه، (١٦٧٣/٣)، بالرقم (٢١١٧).

(٤) ينظر سنن أبي داود، باب في كراهية حرق العدو بالنار، (٥٥/٣) بالرقم (٢٦٧٥).

رب هذا الجمل؟ لمن هذا الجمل؟ فجاء فتى من الانصار فقال: لي يا رسول الله، فقال: افلا تتقي الله في هذه البهيمة التي ملكك الله أياها؟ فإنهُ شكى إلي انك تجيعه وتدئبه))[١].

* وما روي عن سهل بن الحنظلية قال:((مرَّ رسول الله صلى الله عليه وسلم ببعير قد لحق ظهره ببطنهِ فقال: اتقوا الله في هذه البهائم المعجمة فاركبوها صالحة وكلوها صالحة))[٢].
* وعن ابي هريرة – رضي الله عنه – ، ان رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قال:((عُذبت أمراة في هرة، سجنتها حتى ماتت فدخلت فيها النار، لا هي أطعمتها وسقتها إذ حبستها ولا هي تركتها تأكل من حشاش الأرض))[٣].
* ما روي عن شداد بن اوس ان النبي صلى الله عليه وسلم قال:((ان الله كتب الاحسان على كل شيء فاذا قتلتم فأحسنوا القِتلةَ واذا ذبحتم فاحسنوا الذبح وليحد أحدكم شفرتهُ فليرح ذبيحتهُ))[٤].

ب– الاعتداء والتعذيب المعنوي على الحيوانات.

* ما روي عن ابن مسعود – رضي الله عنه –، قال:((كنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في سفر فأنطلق لحاجتهِ، فرأينا حمرة معها فرخان، فأخذنا فرخيها فجاءت الحمرة فجعلت تفرش فلما جاء رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قال: من فجع هذه بولدها؟ ردوا ولدها اليها))[٥].

---

(١) ينظر المصدر نفسه، باب ما يؤمر به من القيام على الدواب والبهائم (٢٣/٣) بالرقم (٢٥٤٩).

(٢) ينظر المصدر نفسه، بنفس الباب (٢٣/٣) بالرقم (٢٥٤٨).

(٣) ينظر صحيح مسلم، كتاب السلام– باب تحريم قتل الهرة (١٧٦٠/٤) بالرقم (٢٢٤٢).

(٤) ينظر المصدر نفسه، كتاب الصيد والذبائح وما يؤكل من الحيوان– باب الأمر بإحسان الذبح والقتل وتحديد الشفرة (١٥٤٨/٣) بالرقم (١٩٥٥).

(٥) ينظر سنن ابي داود، باب كراهية حرق العدو بالنار (٥٥/٣) بالرقم (٢٦٧٥).

مما لاشك فيه ان هذه النصوص الشريفة قد ازالت اللثام بصورة جلية وواضحة للعيان عن الاهمية الكبيرة التي اولتها السنة الطاهرة بجانب حماية ورعاية البيئة الحيوانية فقد اظهرت هذه الادلة ان الاهتمام بالحيوانات ليس شيئاً عابراً قليل الاهمية فقد تم التأكيد من خلال هذه النصوص على ادق تفاصيل المظاهر الحياتية للحيوان فقد وضعت الصورة الاولى للعناية بالبيئة الحيوانية قانوناً مهماً يرشد الناس الى التقييد وعدم استنزاف واستهلاك هذه الثروة بصورة عبثية وعشوائية، لا تتم الى السلوك القويم الذي دعى اليه الاسلام، فهذه الثروة ذات اهمية عظيمة لما لها من اثر فاعل في حفظ التوازن البيئي اذ ان التنوع الحيوي يوفر القاعدة الاساسية للحياة على الارض، كما تعد هذه الثروة مصدراً رئيساً لتزويد الانسان بالغذاء وبالتالي يؤدي الى توفير الامن الغذائي له وكذلك المواد الخام اللازمة لكثير من الصناعات الضرورية لإدامة حياته وتنميتها، وقد يكون التطاول على هذه الثروة التي سخرها المولى عز وجل لخدمتنا سبباً لحساب الله تعالى لنا في الاخرة ، ودافعاً لنزول عذابه بنا، واما الصورة الثانية من صور هذا المظهر فهي حث النبي صلى الله عليه وسلم على المحافظة على الحيوانات من خلال الترغيب في الشفقة عليها والحث الدائم على الرأفة والرحمة بها مما يكون باباً للفوز بمرضاة الله تعالى والفوز بالجنة وهذا ما اظهرته نصوص السنة النبوية الطاهرة. وكذلك من صور هذا الحماية والرعاية للبيئة الحيوانية هي التحذير والوعيد والترهيب من مغبة الاعتداء على المظهر الحي المتمثل بالحيوانات والتأكيد على منع اي شكل من اشكال الاعتداء والتعذيب الواقعة عليها والحث على حماية حقوقها، وهذا الاعتداء حسي ومعنوي كما استنبطناه من بين ثنايا هذه الادلة الطاهرة فان مسألة حدوث اي وشم او وسم أو قطع أو تلف لأي عضو من اعضاء جسم الحيوان تعدُ من القضايا المنهي عنها وهذا في القليل من الاعتداء وما هو اكبر كان أولى بالتحريم كأحراق النمل وغيرها من الحشرات وهذه الصور من الاعتداء هي صور حسية ظاهرة للعيان وكذلك الجوع والعطش وما يقاس عليها من الامور الظاهرة التي تؤدي الى هلاك الروح وبالتالي الى نزول غضب الله تعالى بأبن آدم ودخوله النار، وكذلك نهت السنة الطاهرة عن الاعتداء والتعذيب المعنوي كما هو ظاهر في حديث

((الحمرة)) وهي نوع من انواع الطيور فان أخافة وافزاع الحيوان هو امر معنوي يستدل عليه بقرائن ظاهرة تدل عليه كما حدث في منظر هذا الطير عندما تم اخافته بأخذ افراخه فأمر النبي صلى الله عليه وسلم بعدم اخافتها ووضع حدٍ لمعاناتها برد أفراخها عليها ويقاس على هذا كل انواع الحيوانات على سطح البسيطة وكل انواع الاخافة وافزاعها بشتى الوسائل الحديثة في يومنا هذا أو القديمة، بل واكثر من هذا فقد نبهت السنة الطاهرة على مسألة عدم تعذيب الحيوان وأراحته عند الذبح لسد الحاجة والانتفاع بقوله صلى الله عليه وسلم: ((وليحد شفرته))، فان حد الشفرة عند الذبح فيه إراحة وعدم اعتداء وعذاب على الكائن الحي وما هذه الا صورة بديعة ووهاجة للحرص الشديد على حماية ورعاية هذا النوع من أنوع مظاهر البيئة المحيطة بالإنسان.

المطلب الخامس:- **مظهر حماية ورعاية البيئة الجوية أو الغازية**.

لا توجد نصوص في السنة الطاهرة اشارة الى قضية حماية ورعاية البيئة الجوية أو الغازية بصورة جلية كورود ألفاظ فيها تدل على عناصر هذه البيئة والتي غالباً ما تكون ألفاظها متعلقة بلفظ ((الهواء)) أو ((الغاز)) ، أو غيرها من المعاني ذات العلاقة ، لهذا ارتأينا ان نتجه في هذا المظهر الى اتجاه أخر تمثل بأمرين : الأول: افساد او تلويث البيئة الجوية او الغازية، والثاني: منع انتشار العدوى من خلالها كون الهواء هو احد الطرق المهمة لانتشار العدوى الحاملة للأمراض او غيرها من صور التلوث، وعند امعان النظر في هذه النصوص وجدناها ذات صلة كبيرة بمسألة حماية ورعاية البيئة الجوية والحفاظ عليها، لهذا جاء هذا المظهر متمثلاً بصورتين حملتها بين ثناياها نصوص السنة الطاهرة وهي:

١- حث السنة النبوية الطاهرة على عدم تعكير وتلويث البيئة الجوية أو الغازية بالروائح الكريهة وغيرها. وما يقاس عليها من مواد اخرى ضارة وسامة تضر بالهواء.

* ما روي عن ابي هريرة – رضي الله عنه – ان النبي صلى الله عليه وسلم قال:((من أكل من هذه الشجرة – يعني الثوم– فلا يقربنَّ مسجدنا.... الحديث))[١].
* وعن ابي هريرة – رضي الله عنه – ، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ((من أكل من هذه الشجرة فلا يقربنَّ مسجدنا، ولا يؤذينا بريح الثوم))[٢]، حث السنة الطاهرة على الحفاظ على البيئة الغازية من خلال تشريع قوانين الوقاية الصحية الفردية او الجماعية، وقانون العزل الصحي الوقائي، لأجل الحفاظ على البيئة وعدم جعلها وسطاً معدياً وملوثاً بالأمراض الوبائية وغيرها.
* عن ابي هريرة – رضي الله عنه – ، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ((لا يوردنَّ ممرض على مصح))[٣].
* حديث النبي صلى الله عليه وسلم :((اذا سمعتم بالطاعون بأرض فلا تدخلوها، واذا وقع بارض وأنتم بها فلا تخرجوا منها... الحديث))[٤].
* قول النبي صلى الله عليه وسلم :((الطاعون رجس أرسل على طائفة من بني إسرائيل، أو على من كان قبلكم فاذا سمعتم به بأرض، فلا تقدموا عليه واذا وقع بأرض وأنتم بها، فلا تخرجوا منها فراراً منه))[٥]، وغيرها من النصوص الاخرى التي تحفل بها كتب السنة الطاهرة.

أقول: ان هذه النصوص حملت بين ثناياها إشارات تم من خلالها استنباط ما ذهبنا اليه في وضع معالم الصورتين التي اعتنت السنة النبوية بالبيئة الجوية من خلالها لما لم تتوفر النصوص التي اعتنت بعنصر الهواء صراحة ، لذا نجد ان الصورة الاولى لهذا المظهر تبين وتوضح للإنسان الطريق الأمثل الذي يجب ان

---

(١) ينظر صحيح مسلم، كتاب المساجد ومواضع الصلاة– باب النهي عن أكل ثوماً أو بصلاً أو كراثاً أو نحوهما (٣٩٤/١) بالرقم (٥٦٣).
(٢) ينظر المصدر نفسه، بنفس الكتاب والباب (٣٩٤/١) بالرقم(٥٦٣).
(٣) ينظر سنن ابي داود، باب في الطيرة (١٧/٤) بالرقم (٣٩١١).
(٤) ينظر صحيح البخاري، باب ما يذكر في الطاعون (٢١٦٣/٥) بالرقم (٥٣٩٦).
(٥) ينظر المصدر نفسه (١٢٨١/٣) بالرقم (٣٢٨٦).

يعتمده في المحافظة على الغلاف الجوي المحيط بالإنسان، من خلال نهي السنة عن اكل الثوم ثم الذهاب لأداء العبادات ومنها الصلاة في المسجد حتى لا يؤذي آكل الثوم المصلين في المسجد بالرائحة التي تنبعث منه عند تناوله، ومما لاشك فيه ان في هذا النهي دعوة لحماية ورعاية البيئة الجوية والحفاظ عليها من الروائح الكريهة وخاصة الاماكن العامة وقد ضربت السنة المثل للاماكن العامة المتمثل بالمسجد ويقاس عليه غيره من الاماكن التي تخصص لاجتماع الناس، ويدخل تحت قائمة الروائح الكريهة الضارة بالبيئة الجوية أية روائح سامة وغير سامة مثل الروائح المنبعثة من المأكولات القريبة من فصيلة الثوم كالبصل وروائح التبغ في السكائر أو روائح الغازات الضارة الكبريتية الناتجة عن محطات معالجة المياه الثقيلة ومياه المجاري ومحطات توليد الطاقة ومصانع الفحم والأسمدة ومعامل تكرير النفط والصناعات البتروكيمياوية وغيرها من الابخرة والغازات الضارة ليس بالإنسان فقط بل بعناصر التكوين للبيئة الجوية وهو الاوكسجين ((O_2)) وكذلك غاز الأوزون ((O_3)) الذي تتكون منه الطبقة المحيطة بالأرض والتي تمنع من دخول الاشعة السامة القادمة من الفضاء الى غلاف الارض ، فمن المعلوم ان نسبة الاوزون في الغلاف الغازي تشكل نسبة (٠,٠٢) جزء من المليون، وهذه النسبة اذا ما زادت زادت معها مشاكل الانسان المتمثلة بالأمراض الناتجة عن هذه الزيادة ، مثل التهاب العيون والرئتين وغيرها من الامراض، كما ان انخفاض نسبته في الجو ينتج عنها مشاكل اخطر من الاولى كسرطان الجلد الناتج عن الاشعة فوق البنفسجية التي يمتصها الجلد وغيرها، ان انخفاض نسبة الاوزون أو ازديادها تتأثر بالدرجة الاولى بالغازات السامة كالأكاسيد النيتروجينية الناتجة عن التفجيرات الهائلة مثل النووية واستخدام المواد الكيماوية والأسمدة التي تتفاعل مع اشعة الشمس وغيرها من الملوثات التي يلقي بها الانسان الى الغلاف الخارجي مما يسبب تدميره وتلويثهُ[1]، مما يدعونا الى ان نعيد النظر في السلوكيات والاساليب التي ينتجها

---

(١) ينظر رعاية البيئة من التلوث، للدكتور– يوسف بن عبد الله العريني، دار طويق– الرياض، لسنة (١٤٢٩هـ– ٢٠٠٨م)، (ص١٤٠).

أبن آدم في تعامله مع البيئة الجوية بما يضمن حمايتها ورعايتها بصورة دائمة لتلبي حاجة المخلوقات التي تسكنها وبالتالي بقائها، واما الصورة الثانية لهذا المظهر التي تحدثت عن حث السنة على الحفاظ على الغلاف الغازي من خلال وضع المواثيق والقوانين الخاصة بالوقاية الصحية فردية أو جماعية وكذلك التنظير لإجراءات العزل الصحي الوقائي، التي اعتمدتها الدول المتقدمة في العصر الحاضر لضمان ديمومة وحماية البيئة الجوية وكيفية الحفاظ عليها، اذ تعتبر السنة النبوية الطاهرة صاحبة السبق والريادة في تقنين هذه الصورة من صور حماية البيئة الغازية المحيطة بالإنسان، فنجد ان الاحاديث النبوية الطاهرة قد نهت عن مخالطة الانسان المريض بمرض معدٍ بأخر صحيح وذلك درءاً للضرر الذي قد يحصل او يلحق بالإنسان الصحيح من هذا المصاب نتيجة انتقال القطيرات التنفسية بالهواء الذي يعتبر وسطاً فعالاً لانتقال العدوى نتيجة تلوث الهواء المحيط بالمريض، لهذا قال النبي صلى الله عليه وسلم بهذا الخصوص وهو ليس على عموم الازمنة وخاصة في وقتنا الحاضر، لتوفير ادوات الوقاية قال:((فر من المجذوم فرارك من الأسد))[1] وفي رواية اخرى:((كما تفر من الأسد))[2]، والجذام مرض معدٍ ينتقل عبر القطيرات التنفسية ويقاس عليه ايضاً مرض التدرن الرئوي، فاذا كانت السنة الطاهرة قد منعت من ورود الصحيح على المريض بهذه الامراض المعدية وغيرها، فكيف الامر بمن يتسبب بغياً وعدواناً في نشر التلوث الكيماوي أو الاشعاعي أو الجرثومي ملوثاً به الهواء الذي نتنفس منه، فان دفعهُ ومنعهُ من اولى الأولويات التي يجب ان تتبناها مؤسسات حماية البيئة في الوقت الحاضر، واما قانون العزل الصحي الوقائي هو الاخر الذي لا يقل اهمية عن سابقه وصولاً الى حماية ورعاية البيئة الهوائية، فان المفهوم من حديث الطاعون ان السنة الطاهرة قد أرشدت في حال ظهور مرض معدٍ كالطاعون وغيره،

(١) ينظر سنن البيهقي الكبرى، باب اعتبار السلامة في الكفاءة (١٣٥/٧) بالرقم (١٣٥٥٠).
(٢) ينظر صحيح البخاري، باب الجذام (٢١٥٨/٥) بالرقم (٥٣٨٠).

في بلد أو أرض ما الى ضرورة ان يضرب حوله حصار شديد، فيمنع الدخول اليه والخروج منه ، وهذا ما يسمى بـ((الاحتواء الجرثومي))، أو ((العزل الوقائي))، وذلك من اجل ان تنكمش أو تنحصر رقعة الداء أو الوباء في اضيق نطاق، ويقاس على مرض الطاعون اليوم التلوث الهوائي بالإشعاع او بالغازات السامة الناتجة عن الانفجارات الجائرة التي يقوم بها تجار الحروب والسلاح، وما يقومون به من تلويث للبيئة الجوية وغازاتها النفيسة التي تعتبر العنصر الاساس لمعيشة الكائنات الحية على وجه البسيطة، لهذا وجب على الانسان في الارض ان يقف وقفة مسؤولة تجاه هذه الكوارث البيئية والحد منها وايقافها بصورة نهائية ان امكن ذلك من خلال نشر الثقافات والسلوكيات القويمة التي تضمن حصول حماية ورعاية البيئة على اختلاف مظاهرها، هذا ما قدرنا المولى تعالى من بسطهِ واظهارهِ في هذه الدراسة الخاصة بالبيئة المحيطة بالإنسان ومظاهرها المختلفة.

الخاتمة

الحمدُ لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيد المرسلين، وبعد: بعد هذه الجولة بين ثنايا نصوص السنة الطاهرة التي اهتمت بقضايا البيئة، ومظاهر حمايتها ورعايتها، لابد لنا في نهاية هذه الدراسة ان نذكر أهم وأبرز النتائج التي تم الوقوف عليها واستنباطها من الطرق الفنية والاليات الناجحة التي وضعتها السنة الطاهرة، لحماية ورعاية البيئة، وهي كالاتي:-

١- ان البيئة وعند وضع الحد الملائم لمفهومها تبين لنا المفهوم الاجرائي لها هو انسب ما يمكن التعبير به عن مفهومها وهو انها تعني:((المحيط المادي الذي يعيش فيه الانسان بما يشتمل عليه من ماء وهواء وفضاء وتربة وكائنات حية ومنشآت أقامها لإشباع حاجاته)).

٢- ان علاقة الانسان بالبيئة علاقة محددة بضوابط ارشد الاسلام الانسان اليها، فالمسلم يحافظ على البيئة ويرعاها لا لسلامته وسلامتها فقط وانما لأجل سلامة الكون الذي يعيش فيه والقرآن والسنة النبوية الطاهرة يدعوان الى إسلامية هذه العلاقة بين الانسان والبيئة.

٣- ان البيئة التي يعيش فيها الانسان تنقسم على قسمين بحسب ما تم استنباطه منها هما: البيئة الطبيعة، وهي التي لا دخل للإنسان فيها والبيئة المشيدة او الاصطناعية التي هي غالباً ما تكون من صنع الانسان.

٤- ان مظاهر البيئة المحيطة بالإنسان قد قسمناها الى بيئة مائية، وبرية، ونباتية، وحيوانية، وجوية.

٥- ان لكل نوع من انواع البيئة اصناف تندرج تحتها مثلاً البيئة المائية وتشمل المحيطات والبحار والانهار وغيرها من المسطحات المائية على وجه الارض.

٦- ان الاهمية الكبيرة للبيئة ومسألة حمايتها ورعايتها كان له الصدى الواسع بين آيات الكتاب العزيز ونصوص السنة الطاهرة مما دعى فقهاء الاسلام الى وضع

القواعد والضوابط الفقهية التي تنضم علاقة الانسان بالبيئة وكذلك تشريع العقوبات الملائمة للمخالفين لهذه القواعد والضوابط.

٧- ان السنة النبوية قد حاربت التلوث بشتى انواعه لأنه فساد حسي، كما وانها حاربت الاعتداء على مظاهر البيئة على اختلاف صوره وهذا يشمل جميع مظاهر البيئة المحيطة بالإنسان.

٨- انه يجب علينا ان نحكم الشريعة الاسلامية في معالجة القضايا البيئية المستجدة، كي نحافظ على هذا الكوكب الذي خلقه الله تعالى مسكناً للإنسان ، ولأجل ان نتركه سالماً للأجيال القادمة.

٩- ان المقصد العام من حماية ورعاية البيئة في السنة النبوية هو تأمين وتوفير الحياة الآمنة لبني البشر وحماية مصالحه الاقتصادية، وسد حاجاته الاساسية في العملية الحياتية، وكذلك حماية ورعاية سائر الاحياء والمخلوقات الاخرى التي هي مسخرة لخدمته.

١٠- يجب على العائلة الدولية من الدول الاسلامية أو غيرها ان تسن النظم والتشريعات الكفيلة بحماية ورعاية البيئة، والمحافظة عليها من عبث العابثين والمعتدين في ضوء توجيهات النبي صلى الله عليه وسلم ووضع العقوبات التعزيرية المناسبة لكل مخالفة بيئية في ضوء القاعدة الشرعية ((لا ضرر ولا ضرار)).

واخر دعوانا ان الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيدنا محمد الصادق الامين

Abstract

Came the environment, their great importance and prominent subject of this research, which we highlighted it and we decided to say between Tnayah it is known that our environment that blessed God with us and has given us, we had to always strive to protect, nurture and maintain the lead role, who created God to him, man Mstkhalaf, rather than the owner of her and their resources even call him that to dispose of at the discretion of an assault and wasteful and vain and injustice, without what there is of Thariq and the organization is based on a set of rules and regulations governing the behavior of humans with and thus improve the closer relationship between him and the environment in order to ensure the permanence and continuity, including ensure the provision of basic needs that underlie the life of organisms, including the man on the surface of the earth, and these meanings and others expressed by year pure between the folds of texts honest to guide humanity for the well-being and best interests and the time of their lives and after them of future generations to ensure the development and advancement and prosperity of the manifestations of this life in various aspects and intricacies.

المصادر والمراجع

- القرآن الكريم.

١- الاحاديث المختارة، للمقدسي (ت٦٤٣هـ)، ط١، تحقيق- عبد الملك بن عبد الله بن دهيش، مكتبة النهضة الحديثة- مكة المكرمة، لسنة (١٤١٠هـ).

٢- الاسلام والبيئة، عبد العظيم أحمد عبد العظيم، مؤسسة شباب الجامعة- الاسكندرية، لسنة (١٩٩٩م).

٣- الاسلام والبيئة، محمد مرسي محمد، أكاديمية نايف العربية للعلوم الأمنية- الرياض، لسنة (١٤٢٠هـ- ١٩٩٩م).

٤- أصول الحديث علومه ومصطلحه، للدكتور- محمد عجاج الخطيب، ط١٠، دار المعارف، لسنة (١٩٨٨م).

٥- الأشباه والنظائر، لابن نجيم (ت٩٧٠هـ)، دار الكتب العلمية- بيروت، لسنة (١٤٠٥هـ- ١٩٨٥م).

٦- إنهم يقتلون البيئة، للدكتور- ممدوح حامد عطية، الهيئة المصرية العامة للكتاب- القاهرة، لسنة(١٩٩٧م).

٧- البيئة في الاسلام، الدكتور- الشحات ابراهيم محمد، دار النهضة العربية- القاهرة، د.ت.

٨- البيئة في الفكر الانساني والواقع الأيماني، للدكتور- عبد الحكم عبد اللطيف الصعيدي، الدار المصرية اللبنانية- القاهرة، ط١، لسنة (١٩٩٤م).

٩- البيئة من منظور إسلامي، للدكتور- علي علي السكري، منشأة المعارف- الإسكندرية، لسنة (١٩٩٥م).

١٠- رعاية البيئة من التلوث، للدكتور- يوسف بن عبد الله العريني، دار طويق- الرياض، لسنة (١٤٢٩هـ- ٢٠٠٨م).

١١- سنن ابن ماجه، محمد بن يزيد ابو عبد الله القزويني (ت٢٧٥هـ)، تحقيق- محمد فؤاد عبد الباقي، دار الفكر- بيروت، د.ت.

١٢- سنن ابي داود، سليمان بن الأشعث (ت٢٧٥هـ)، تحقيق- محمد محيي الدين عبد الحميد، دار الفكر- بيروت، د.ت.

١٣- سنن البيهقي الكبرى، لأبي بكر البيهقي (ت٤٥٨هـ)، تحقيق- محمد عبد القادر عطا، مكتبة دار الباز- مكة المكرمة، لسنة (١٤١٤هـ-١٩٩٤م).
١٤- سنن الترمذي، محمد بن عيسى أبو عيسى الترمذي (ت٢٧٩هـ)، تحقيق- أحمد محمد شاكر وأخرون، دار احياء التراث العربي- بيروت، د.ت.
١٥- السنن الكبرى، للإمام النسائي (ت٣٠٣هـ)، ط١، تحقيق- الدكتور- عبد الغفار البنداري وسيد كسروي حسن، دار الكتب العلمية- بيروت، لسنة(١٤١١هـ-١٩٩١م).
١٦- صحيح البخاري، لأبي عبد الله محمد بن أسماعيل البخاري (ت٢٥٦هـ)، ط٣، تحقيق- مصطفى ديب البغا، دار ابن كثير- اليمامة- بيروت، لسنة (١٤٠٧هـ-١٩٨٧م).
١٧- صحيح مسلم، للإمام مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري (ت٢٦١هـ)، تحقيق- محمد فؤاد عبد الباقي، دار احياء التراث العربي- بيروت، د.ت.
١٨- علم النفس التربوي في الاسلام، شادية التل، ط١، دار النفائس- عمان، لسنة (٢٠٠٥م).
١٩- القاموس المحيط، للفيروز آبادي (ت٨١٧هـ)، ط٣، المطبعة المصرية- القاهرة، لسنة (١٣٥٣هـ- ١٩٧٥م).
٢٠- قواعد التحديث في فنون مصطلح الحديث، للقاسمي، ط١، دار الكتب العلمية- بيروت، لسنة(١٣٩٩هـ- ١٩٧٩م).
٢١- لسان العرب، لابن منظور (ت٧١١هـ)، ط١، دار صادر- بيروت، د.ت.
٢٢- مجمع الزوائد، علي بن ابي بكر الهيثمي (ت٨٠٧هـ)، دار الريان للتراث- دار الكتاب العربي- القاهرة- بيروت، لسنة (١٤٠٧هـ).
٢٣- المستدرك مع تعليق الذهبي، للإمام الذهبي (ت٧٤٨هـ)، بيروت، د.ت.
٢٤- مسند احمد، للإمام احمد بن حنبل (ت٢٤١هـ)، مؤسسة قرطبة- مصر، د.ت.
٢٥- مسند الحارث ((زوائد الهيثمي))، الحارث بن ابي أسامة، والحافظ نور الدين الهيثمي (ت٢٨٢هـ)، ط١، تحقيق- الدكتور- حسين احمد صالح الباكري، مركز خدمة السنة والسيرة النبوية- المدينة المنورة، لسنة (١٤١٣هـ- ١٩٩٢م).